

إعداد

د.عبد الحميد السحيباني

مصدر هذه المادة:







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من أهم الموضوعات التي تحتاج إلى مدارسة بين المســـلمين موضوع «**اليتيم**» ذلك المخلوق الضعيف الذي قدر الله عز وجـــل وجوده في هذه الحياة، وإلى أن يرث تبارك اسمه الأرض ومن عليها امتحانًا للناس واختبارًا.

اعتنى الله عز وجل بموضوع اليتيم وهو من فقد أباه وهو دون البلوغ ذكرًا كان أو أنثى – اعتنى به – سبحانه – عناية عظمى في القرآن العظيم، وذلك من عدة أوجه:

أولها: أن الله عز وجل أثنى ثناءً جميلاً على المـــؤمنين الـــذين يسدون رمق اليتيم وجوعته، قال تبارك اسمه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَـــامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيـــدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيـــرًا﴾ [الإنسان: ٨-١٠].

وذكر سبحانه جزاء هؤلاء الذين حرصوا على إطعـــام اليتـــيم وسد فاقته بقوله: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَـــوْمِ وَلَقَّـــاهُمْ نَضْـــرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَـــا عَلَـــى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَـــيْهِمْ ظِلَالُهَـــا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ

﴿مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا...﴾ إلى آخـــر الآيـــات **[الإنسان: ١١-٢٢]**.

وهكذا نرى جزاء من يحسن إلى اليتيم ويرأف به، وكيـــف لا يكون هذا جزاءه، وهو قد أحسن إلى اليتيم المضيع، كيف لا يكون هذا جزاؤه، وهو قد كفكف دمعه، وسد رمقه، وأثلج صدره!

وثاني تلك الوجوه: أن الله تعالى ذم الذين لا يكرمون اليتـــيم ولا يرحمونه، فقال مبينًا حال الكفار الذين لا يؤمنـــون بـــالله ولا باليوم الآخر، قال: ﴿كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُــونَ الْيَتِــيمَ﴾ **[الفجـــر: ١٧]** وهؤلاء ماذا سيكون حالهم في الآخرة؟ ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَــدَّمْتُ لِحَيَــاتِي﴾ **[الفجر: ٢٣، ٢٤]**.

نعم، يقول: يا ليتني قدمت لحياتي هنا فهي الحياة الحقيقية.. يا ليتني آمنت بالله.. يا ليتني رحمت اليتيم.. يا ليتني أطعمته.. يا ليتني كسوته.. يا ليتني مسحت على رأسه.. يا ليتني كفكفت دمعتـــه.. وفرجت كربته.. وأدخلتُ السرور إلى قلبه المكلوم..

ولقد حذر الله عز وجل رسوله ﷺ من قهر اليتيم بعد أن عدد عليه عظيم نعمه وجزيل هباته والتي كان منها أنه سبحانه وجـــده يتيمًا فآواه، وأنزل في ذلك آيات تتلى إلى يوم القيامة، هـــي درس وموعظة لكل مسلم يؤمن بالله: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْــأُولَى * وَلَسَــوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآَوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى

* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١-١١].

وذم الله عز وجل كذلك أولئك الذين لا يعرفون لليتيم حقًا، ولا يرعون فيه واجبًا، وليس في قلوبهم تجاهه شفقة ولا رحمة، قال تبارك اسمه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣]. قال ابن كثير: «يقول تعالى: أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب، فذلك الذي يدع اليتيم أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه» [تفسير القرآن العظيم (٥٥٤/٤)].

ولا شك أن هذا التنبيه القرآني الواضح في التحذير من قهر اليتيم والإساءة إليه لهو أعظم زاجر لأولئك الظلمة الذين ما زالوا في غيهم سادرين، ما زالوا يواجهون اليتامى والمساكين والبائسين بكل ألوان القهر والاستعباد! هذا التنبيه القرآني أعظم زاجر لهم إن كان لهم قلوب يعقلون بها» أو آذان يسمعون بها.

والواحد من هؤلاء الظلمة هو الذي عناه الشاعر بقوله:

فكم يتيم مدقع ويتيمة
من جوره ماتا على فرش الضنى

وثالث تلك الوجوه: أن الله عز وجل أمر بالمحافظة على أموال اليتامى وحرم إفسادها وتضييعها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ

الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

ورابع الوجوه: الأمر بإعطاء اليتامى أموالهم عندما يرشدون ويعرفون كيف يتصرفون في أموالهم، قال سبحانه: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

وقال سبحانه: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

وخامس الوجوه: التشنيع الشديد على من أكل أموال اليتامى ظلمًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]. نعم، إنه تحذير للذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا بأن هذا المال نار، وإنهم ليأكلون هذه النار، وإن مصيرهم لإلى النار، فهي تشوي البطون، وتشوي الجلود، هي النار من باطن وظاهر هي النار مجسمة حتى لتكاد تُحسها البطون والجلود، وحتى لتكاد تراها العيون وهي تشوي البطون والجلود»[1].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الإسراء: ٣٤].

---

(١) عن «الظلال» (١/٥٨٢).

قال ابن الجوزي في زاد المسير [1]: «إنما خَصَّ مال اليتــيم لأن الطمع فيه، لقلة مُراعيه وضعف مالكه أقوى».

* * * *

(1) (114/3).

عناية السنة بموضوع اليتيم

شدد النبي ﷺ تبعًا للكتاب الكريم النكير في مسألة أكل مـــال اليتيم كما ثبت في البخاري [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «**اجتنبوا السبع الموبقات**» وذكر منها: «**أكل مال اليتيم**».

وبين عليه الصلاة والسلام المترلة العظيمة التي يتبوأهـــا كافـــل اليتيم، فقال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم [٢] كتاب الزهد والرقائق: «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهـــو كهـــاتين في الجنة**» وأشار مالك بالسبابة والوسطى.

وفي صحيح ابن حبان [٣] وصححه الأرنؤوط عن سهل بـــن سعد: «**أنا وكافل اليتيم في الجنـــة هكـــذا**» وأشـــار بالســـبابة والوسطى.

قال ابن حبان: «قوله ﷺ: **هكذا**» أراد به في دخول الجنة لأن كافل اليتيم تكون مرتبته مع مرتبة رسول الله ﷺ في الجنة واحدة». اهـــ.

وفي مسند أبي يعلي لكن ضعف إسناده محقق الكتاب [٤] «من ضم يتيمًا بين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبـــت له الجنة البتة».

---

(١) (٣/١٠١٧).
(٢) (٤/٢٢٨٧).
(٣) (٢/٢٠٧).
(٤) سليم أسد.

والحديث رواه كذلك الطبراني في معجمه الكبير[١] وقد ثبت عنه ﷺ ما يبين عظم التفريط في مال اليتيم عندما نصح أبا ذر رضي الله عنه فقال عليه الصلاة والسلام كما في كتاب الإمارة من صحيح مسلم: «**يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولّينّ مال يتيم**».

* * * *

(١) (١٩/٣٠٠).

أحاديث ضعيفة

جاءت أحاديث كذلك في الرفق باليتيم ولكنها غير صـــحيحة نذكرها لبيان ضعفها.

١- «من مسح على رأس يتيم رحمة له كتب له بكل شــعرة حسنة ورفع له بكل شعرة درجة».

قال الذهبي في ميزان الاعتدال [(١)]: قال البخاري: فائد (يعــني فائدًا أبا الورقاء أحد رجال الإسناد): منكر الحديث».

٢- «من مسح رأس يتيم يوم عاشوراء وقعت له بكل شــعرة درجة في الجنة» قال الذهبي في «ميزان الاعتدال»[(٢)] «موضوع».

٣- «إذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الــرحمن تعــالى فيقول: من أبكى هذا اليتيم الذي واريت والديه تحت الثرى؟. من أسكته فله الجنة».

قال الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»[(٣)] هذا حديث منكر جدًا لم أكتبه إلا بإسناده، ورجاله كلهم معروفون إلا موسى بــن عيسى فإنه مجهول وحديثه عندنا غير مقبول». وقــال الــذهبي في «تذكرة الحفاظ»[(٤)] لما ذكر الخبر المتقدم وذكر موسى بن عيسى، قال: «هو واضعُه» يعني موسى بن عيسى.

---

(١) (٨/١٦١).
(٢) (٢/١٩٠).
(٣) (١٣/٤٢).
(٤) (٤/١٢٠٣).

٤- حديث البزار في قصة اليتيم الذي جاء إلى رسول الله ﷺ، وأن النبي ﷺ أعطاه إحدى وعشرين تمرة، وقول معاذ لليتيم: «يـا غلام، جبر الله يتمك» ضعيف جدًا، لأن في إسـناده فائـدًا أبـا الورقاء، وقد تقدم كلام الذهبي في «ميـزان الاعتـدال... في أبي الورقاء هذا حيث قال: «منكر الحديث» وقال الهيثمي في «مجمـع الزوائد»[1]: متروك.

* * * *

(١) (١٦١/٨).

عناية السلف باليتيم

اعتنى السلف رحمهم الله تعالى باليتيم، فدعوا – مقتضين في ذلك الكتاب والسنة — إلى العناية باليتيم والإحسان إليه، وطبقوا ذلك في واقع حياتهم، لأن العلم بذلك يقتضي العمل. ففي وصية علي رضي الله عنه – لما قُتل – لولديه الحسن والحسين: «قولا الحق وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف واصنعا للآخرة»[(١)].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه فيما كتبه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه: «يا أخي، ارحم اليتيم، وأدنه منك، وأطعمه من طعامك»[(٢)].

وسأل الإمام أحمد يرحمه الله كما في «طبقات الحنابلة»[(٣)] لأبي يعلى رجلٌ، فقال: «كيف يرق قلبي؟» فقال الإمام أحمد: «ادخل المقبرة وامسح رأس اليتيم». وقال أبو الدرداء رضي الله عنه محذِّرًا من دعوة اليتيم: «إياك ودعوة المظلوم ودعوة اليتيم، فإنهما تسريان بالليل والناس نيام»[(٤)].

ورحم الله القائل وهو يحذر من ظلم اليتيم:

واتقوا الله في ضعاف اليتامي ... وبما يُستحل غير الحلال
واعلموا أن لليتيم وليًا ... عالمًا يهتدي بغير سؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه ... إن مال اليتيم يرعاه والي

(١) تاريخ الأمم والملوك (٣/١٥٧).
(٢) حلية الأولياء.
(٣) (١/٢١٤).
(٤) المصدر السابق (١/٢٢١).

وقد مدح أحد الشعراء وهو عبد الصمد بـن المعـذل أحـد الرجال المشهورين بالعطاء والصدقة وبذلك المعروف، مدحه لأنـه كان يحسن إلى اليتيم، وهذا الرجل هو سعيد بن سلم قـال عبـد الصمد هذا يرثيه:

كم يتيم نعشته بعـد يـتم وفقيرًا أغنيتـه بعـد عـدم
كلما عضت النوائب نادى رضي الله عن سعيد بن سلم

* * * *

(١) وفيات الأعيان (٤/٨٨).

رحمته ﷺ باليتيم

كان عليه الصلاة والسلام يمتثل أمر الله عز وجل له بعدم قهر اليتيم حق الامتثال، بدليل ما أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة وابن حبان في صحيحه ولفظ مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عند أم سليم يتيمة وهي أم أنس[1]، فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة فقال: «**آنتِ هِيَهْ؟ لقد كَبْرتِ، لا كَبرَ سِنُك**» فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي. فقالت أم سليم: مالك؟ يا بُنية! قالت الجارية: دعا علي نبي الله ﷺ أن لا يكبر سني، فالآن لا يكبرُ سني أبدًا أو قالت: قرني. فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها[2]، حتى لقيت رسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ: «**مالك يا أم سُليم!** قالت: يا نبي الله أدعوت على يتيمتي؟ قال: **وما ذاك يا أم سليم؟** قالت: زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنُها ولا يكبر قرنها. قال: فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: **يا أم سليم! أما تعلمين أن شرطي على ربي أني اشترطت على ربي فقلت: إنما أنا بشر. أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوتُ عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهورًا وزكاة وقربةً يقرِّبه بها منه يوم القيامة**».

قال النووي في شرحه على مسلم بعد ذكره هذا الحديث والروايات الواردة فيه: «هذه الأحاديث مبينة على ما كان عليه ﷺ

(١) وفيات الأعيان (٤/٨٨).

(٢) أي أم سليم هي أم أنس.

من الشفقة على أمته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم والرغبة في كل ما ينفعهم».

وقال النووي كذلك: «فإن قيل: كيف يدعو على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أو يسبُّه أو يلعنه ونحو ذلك؟ فالجواب ما أجاب به العلماء، ومختصره وجهان: أحدهما: أن المراد ليس بأهل لـــذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مســتوجب لـــه، فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمارة شرعية ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، والثاني: أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو ممـــا جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقولـــه: تربـــت يمينك.. لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغـــب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربه وطهورًا وأجرًا وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأزمان، ولم يكن ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا لعانًا ولا منتقمًا لنفسه، وقد سبق في هذا الحديث أنهم قالوا: ادع على دوس فقال: **اللهم اهد دوسًا**، وقال: **اللهم اغفـــر لقومي فإنهم لا يعلمون**، والله أعلم»[١].

* * * *

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/١٥١، ١٥٢).

عناية السلف باليتيم

اعتنى السلف رحمهم الله تعالى باليتيم عناية عظمى امتثالاً لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ.

هذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يرثيه كعب بن مالك، ويذكر عنايته باليتيم، فيقول:

كم من يتيم كان يجبر عظمه أمسى بمنزله الضياع يطوفُ
مـــا زال يقبلـــهم ويـــرأب حتى سمعت برنة التلهيف [1]

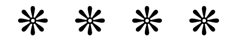
* * * *

(١) تاريخ الأمم والملوك (٢/٦٩٥).

ابن عمر رضي الله عنهما

* وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء»[١] عن ابن عمر رضـــي عنهما أنه كان إذا تغدى أو تعشى دعا من حوله مـــن اليتـــامى، فتغدى ذات يوم فأرسل إلى يتيم فلم يجده وكانت له سُويقةُ محلاة يشربها بعد غدائه فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء وبيده الســـويقة يشربها، فناولها إياه، وقال: خذها، فما أراك غُبنت.

* ذكر ابن حجر في «الإصابة»[٢] قال: روى أحمد في الزهـــد من طريق همام عن جار لهم يكنى أبا يعقوب قال: كان هاهنا رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له: صُواب (بضم الصاد المهملة) كان لا يصنع طعامًا إلا دعا يتيمًا أو يتيمين».



(١) (٢٩٩/١) وانظر «الأدب المفرد» للبخاري ص٦٠.
(٢) (٤٥٢/٣).

عمر بن عبد العزيز

* لما ولي عمر بن العزيز يرحمه الله الخلافة ازدحم علـــى بابـــه الشعراء وكان منهم جرير، فلم يأبه بهم عمر ولم يلتفـــت إلـــيهم ووافق جرير قدوم عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي وكان ورعًا فقيهًا، فقال له جرير: اذكرني للخليفة. قال عون: إن رأيـــت لك موضعًا فعلت، فدخل عون على عمر فسلم عليه ثم حمـــد الله وذكر بعض كلامه ومواعظه، ثم قال: هذا جرير بالباب.. فـــأذن لجرير فدخل عليه، فقال يا أمير المؤمنين، إني أخبرت أنك تحب أن توعظ ولا تطرب، فَأْذَنْ لي في الكلام. فَأَذِنَ له، فكان مما قال:

كم بالمواسم من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصـــوت

أُذهبتْ خَلْقتُهُ حـــتى دعـــا يا رب بارك لطر النـــاس في

من يعدك تكفي فقد والـــده فرخ في الوكر لم ينهض ولم

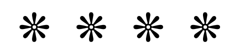
قال الراوي: فترقرقت عينا عمر ثم جهز إلى الحجاز عيرًا تحمل الطعام والكسى والعطايا، يُبث في فقرائهم (١) وفي البداية والنهايـــة (٢) أن عمر بن عبد العزيز خرج ابن له وهو صـــغير يلعـــب مـــع الغلمان، فشجه صبي منهم فاحتملوا الصبي الذي شج ابنه وجاؤوا به إلى عمر، فسمع الجلبة فخرج إليهم فإذا امرأة تقول إنه ابني وإنه يتيم فقال لها عمر: هوني عليك، ثم قال لها عمر: ألـــه عطـــاء في الديوان؟ قالت: لا، قال: فاكتبوه في الذرية، فقالت زوجهُ فاطمة:

---

(١) حلية الأولياء (٥/٣٢٧، ٣٢٨).

(٢) (٩/٢٠٢).

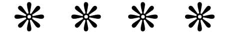
أتفعل هذا به وقد شج ابنك؟! فعل الله به وفَعَل، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية فقال عمر يرحمه الله: «ويحك، إنه يتيم وقد أفزعتموه!».



عتبة الغلام

روى أبو عبد الله اليربوعي كما في «حلية الأولياء»[(١)] قـــال: نازعت عتبة الغلام نفسه لحمًا فقال لها: اندفعي عني إلى قابل، فما زال يدافعها سبع سنين، حتى إذا كان في السابعة أخذ دانقًا ونصف إفلاس فأتى بها صديقًا له من أصحاب عبد الواحد بن زيد خبازًا، فقال: يا أخي، إن نفسي تنازعني لحمًا منذ ســـبع ســـنين وقـــد استحييت منها، كم أعِدُها وأُخلِفها، فخذ لي رغيفين وقطعة مـــن لحم بهذا الدانق والنصف، لما أتاه به إذا هو بصبي، قال: يا فـــلان، ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك؟ قال: بلى. قـــال الـــراوي: فجعل عتبة الغلام يبكي ويمسح رأسه، وقال: قرة عيني من الدنيا أن تصير شهوتي في بطن هذا اليتيم، فناوله ما كـــان معـــه ثم قـــرأ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

وهذا الفعل في رحمة اليتيم والعناية به أمر ممدوح يؤجر عليـــه عتبة لكن تركه أكل اللحم ليس بحسن لما ثبت عن النبي ﷺ مـــن الإنكار على من ترك أكل اللحم، وقال: «**فمن رغب عن ســـنتي فليس مني**».



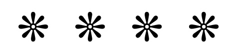
---

(١) (٦/٢٣٠).

الدعاء

بإشراك الوالدين في أجر العناية باليتيم

ذكر المزي في «تهذيب الكمال» في ترجمة العبد الصالح عُميرة بن أبي ناجية أحد العباد الذي كان إذا قرأ يبكي، وإذا سجد يبكي، وإذا سكت عن القراءة وفرغ من الصلاة جلس يبكي، هذا العبـــد الصالح دعا ذات يوم يتيمًا فأطعمه وسقاه ودهن رأسه، وقال اللهم أشرك والدي في هذا، فنام فرأى في نومه أبويه ومعهما ذلك اليتيم، يقولان يا بني، ما أعظم بركة هذا اليتيم علينا!



اليتيم ومصيبة فقد الأب

إن فقدان الابن أو البنت للأب ألم كبير في صدر كل منـــهما، ولكن هل يعني ذلك أن يجلس اليتيم مكتـــوف اليـــدين، مهمـــوم القلب، حزينًا على مر الأيام لا يؤدي عملاً، ولا يطلب علمًا؟

إن ذلك حيلة من لم يؤت إيمانًا بالله تعـــالى الـــذي يصـــرف الأمور، ويفعل ما يشاء، وهو الحكيم الخبير.

نعم إن فقدان الأب والمعيل بعد الله عز وجل مصيبة عظيمـــة ولكن لا يعني ذلك أن يكون اليتيم مهزومًا في ميدان الابتلاء، بـــل المسلم الصادق مع الله تعالى يفوض الأمر في ذلك إلى الله عز وجل إلى قول ربه سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِـــنْ رَبِّهِـــمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وما يدري اليتيم، فلربما كان ابتلاؤه بفقد أبيه خيرًا له إن صبر ولم يجزع ولم يسخط، كما أخرج مسلم في كتاب الزهد والرقائق من صحيحه، باب: المؤمن أمره كله خير من حديث صهيب بـــن سنان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمـــره كله خير. وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراءُ شـــكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر، فكان خيرًا له**». وهكذا إن أراد اليتيم لنفسه النجاة في دنياه وأخراه فليتوكل على الله تعالى ولا يعجزن، وليتخذ من رسول الله ﷺ، وعدد كبير من سلف هذه الأمة ممن عاش يتيمًا، ليتخذ منهم قدوة صالحة تنفعـــه في دنيـــاه وأخراه، وتكون خير معين له على مواجهة مشاق الحياة وآلامها.

النبي ﷺ يعيش يتيمًا

ليكن اليتيم آخذًا عبرة ودرسًا بشحذ الهمة واقتفاء سير نبينا محمد ﷺ الذي عاش يتيمًا فلم يكن يتمه مانعًا له من الجد والاجتهاد وحتى كان ﷺ قائد البشرية ومعلم الإنسانية.

لقد عاش ﷺ يتيمًا حيث مات والده وهو في بطن أمه آمنة، ثم ماتت أمه آمنة وهو ابن ست سنين، ورغم ذلك كان ﷺ ناجحًا في حياته كلها أعظم نجاح، وما أحسن قول جمال الدين بن جلال الدين الجوزي رحمه الله تعالى (١):

فضل النبيين الرسول محمد ... شرفًا يزيد وزادهم تعظيمًا
در يتيم في الفخار وإنما ... خير الآلي ما يكون يتيمًا
ساد النبيين الكرام وكلُّهم ... صلَّوا عليه وسلموا تسليمًا
والله قد صلى عليه كرامة ... صلُّوا عليه وسلموا تسليمًا

وبدت عليه صلوات الله وسلامه عليه أمارات التوفيق منذ أيامه الأولى، وما أحسن قوله:

وبَدَتْ في رضاعه معجزاتٌ ... ليس فيها عن العيون خفاءُ
إذْ أتته ليتمه مرضعاتٌ ... قلن ما في اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاةٌ ... قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها ... وبنيها ألبانَهنَّ الشاءُ (٢)

---

(١) نفح الطيب.
(٢) السيرة الحلبية (١/١٤٩).

* أبو هريرة رضي الله عنه

وهذا أبو هريرة الصحابي الحافظ والإمام النجيب يقول عـــن نفسه رضي الله عنه كما في «حلية الأولياء»[١] مبينًا توفيق الله تعالى له رغم يتمه: «نشأتُ يتيمًا وهاجرت مسكينًا، وكنتُ أجيرًا لابنة غـــزوان بطعام بطني وعقبة رجلي، أحدو بهم إذا ركبوا، وأحتطب إذا نزلوا، فالحمد لله الذي جعل الدين قوامًا وجعل أبا هريرة إمامًا».

عبد الله ذو البجادية

أحد الصحابة الأبرار، قال عنه ابن حجر في «الإصابة»[٢] كان يتيمًا في حجر عمه، فلما أسلم عبد الله نزع منه كل شيء أعطـــاه حتى جرده من ثوبه، فأتى أمه، فقطعت له بجادًا لها باثنتين، فـــاتزر نصفًا وارتدى نصفًا، وعلى الرغم من هذا العناء الذي عاناه هـــذا الصحابي اليتيم إلا أنه واصل المسيرة مع النبي ﷺ مجاهدًا مناضـــلاً، ولم يكن يتمه مانعًا له من ذلك، يقول ابن حجر: كان ابن مسعود رضي الله عنه يحدث يقول: «قمتُ في جوف الليل في غزوة تبوك، فرأيـــتُ شعلة من نار في ناحية العسكر فانتبهتُ فإذا رسول الله ﷺ وأبـــو بكر وعمر رضي الله عنهما وإذا عبد الله ذو البجادين رضي الله عنه قد مات، فإذا هم قد حفروا له ورسول الله ﷺ في حفرته، فلما دفناه، قـــال:

(١) (٣٧٩/١).
(٢) (١٦٢/٤).

«اللهم إني أمسيتُ عنه راضيًا، فارض عنه».

قال ابن حجر: رواه البغوي بطوله من هذا الوجـــه ورجالـــه ثقات إلا أن فيه انقطاعًا». اهـــ.

والحادثة رواها أبو نعيم في «حلية الأولياء»(١) وزاد أن عبد الله بن مسعود قال: «فوالله لوددتُ أني مكانه ولقد أسلمتُ قبله بخمس عشرة سنة».

القاسم بن محمد

وهذا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ الإمام القدوة، قتل أبوه محمد وهو صغير فعاش يتيمًا في حجر عمته عائشة رضي الله عنها فتفقه بها، حتى لقد أثنى عليه يحيى بن سعيد الأنصـــاري، فقال: ما أدركنا بالمدينة أحدًا نفضله على القاسم بن محمد، وقـــال أبو الزناد: ما رأيت فقيهًا أعلم من القاسم، وما رأيت أحدًا أعلـــم بالسنة منه. وقال ابن عيينة: كان القاسم أعلم أهل زمانه. وقال ابن سعد: كان إمامًا فقيهًا رفيعًا ورعًا كثير الحديث (٢).

الأوزاعي

الإمام الكبير عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، ولـــد

---

(١) (١٢٢/١).
(٢) تذكرة الحفاظ (٩٦/١).

ببعلبك ونشأ يتيمًا في حجر أمه، وكانت تنتقل به من بلد إلى بلد، وتأدب بنفسه فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجـــار وغيرهم أعقل منه ولا أورع ولا أعلم ولا أفصح ولا أوقر ولا أحلم ولا أكثر صمتًا منه، وما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها من حسنها [١].

الشافعي

محمد بن إدريس الشافعي العالم الرباني يحدث عن نفسه فيقول: كنتُ يتيمًا في رقبة أمي، و لم يكن عندها ما تعطي المعلم، وكـــان المعلم قد رضي مني أن أقوم على الصبيان إذا كان غائبًا، وأخفـــف عنه إذا حضر، فلما ختمت القرآن قلت: يا نفسي قد حصل لـــك القطب الأعظم، فدخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء والفقهاء فكنتُ إذا سمعتُ منهم الحديث أو المسألة حفظتُها، وكان منزلنا في شعب الخيف، فكنتُ أنظر إلى العظم يلوح فآخذه، وأكتب فيـــه الحديث أو المسألة وأطرحه في جرة كانت عندنا قديمة، فقدم علينا والي اليمن فكلمه بعض القرشيين في أن أصحبه و لم يكن عند أمي ما تعطيني أتحمل به، فرهنت دارها على ستة عشر دينارًا ودفعتـــها إلي، فتحملت بها مع والي اليمن، فلما وصلنا سالمين استعملني على عمل، فحمُدتُ فيه فزادني عملاً آخر فحمدتُ فيه، ودخل العمال مكة فأحسنوا علي الثناء [٢].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/١١٥).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥١/٢٨٢، ٢٨٣).

أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة

إخوتي الكرام، على الرغم من أن بعض اليتامى لا يجد اهتمامًا فمن يكفله بعد أبيه، إلا أن بعضهم تجد عنده من العزيمة والصـــبر والجلد والمثابرة في تحصيل العلم النافع ما تتعجـــب منـــه أعظـــم التعجب، وخذوا هذه الحادثة التي هي في حقيقتها تسلية لكل يتيم، هذا الخطيب البغدادي يذكر في «تاريخ بغداد»[1] عن الإمـــام أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة أنه حدث عن نفسه فقـــال: «تـــوفي أبي إبراهيم بن حبيب وخلفني صغيرًا في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصار أخدمه والقصار هو الذي يغسل الثياب ويبيضها كما في القـــاموس يقول أبو يوسف: «فكنت أدعُ القُصَّار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس استمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيـــدي وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يُعنى بي لمـــا يـــرى مـــن حضوري وحرصي على التعلم، فلما كثُر ذلك على أمـــي وطـــال عليها هربي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم، لا شيء له، وإنما أُطعمه من مغزلي وآمل أن يكســـب دانقًـــا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُرِّي يا رعناء، هذا هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فانصرفت عنه وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلُك، قال: ثم لزمتُه فـــنفعني الله تعـــالى بالعلم، ورفعني حتى تقلدتُ القضاء، وكنتُ أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدم لي هارون فالُوذَجَةً،

---

(١) (١٤/٢٤٤).

فقال لي هارون: يا يعقوب كل منه، فليس كلَّ يوم يُعمل لنا مثلُه، فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين، فقال: هــذه فالوذَجَــة بــدهن الفُستق، فضحكتُ، فقال لي: مم ضحكت فقلت: خيرًا، أبقى الله تعالى أمير المؤمنين، فقال: لتُخْبِرَنِّي وألحَّ عليه، فخبرتُه بالقصة مـن أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك وقال: بعمري إن العلــم ليرفــع وينفع دينًا ودنيا، وترحم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعــين عقله ما لا يراه بعين رأسه.

فانظر يا رعاك الله انظر يا أيها اليتيم، يا مَنْ فقد أباه، انظــر كيف رفع الله عز وجل بالعلم هذا اليتيم أبا يوسف، وتأمل مــاذا سوف تكون حاله لو ترك العلم حسب رغبة أمــه وعمــل مــع القصار؟! إنه درس عظيم في علو الهمة، والتغلب على الأحــزان، والوقوف أمام الابتلاء بصبر وثبات ويقين.

البخاري

شيخ الإسلام وإمام الحفاظ الذي كان رأسًا في الذكاء والعلم والعبادة والورع، يقول عنه الذهبي في «تذكرة الحفاظ»[(١)] «نشــأ يتيمًا» لكن – يا إخوة – هل أقعده اليتم عن العلم؟ لا، لقد بــذل كل وسعه في ذلك حتى إنه قال عن نفسه: كتبت عن أكثــر مــن ألف رجل، وقال عنه الذهبي: صنف وحدث وما في وجهه شعرة!

(١) (٤/١٤٣٩).

اليونيني

الفقيه الحافظ الإمام القدوة، تقي الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين، المولود سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة مات والده، فنشأ يتيمًا في حجر أُمه، لكن لم يمنعه اليتم من الجد حتى إنــه حفــظ القرآن، وجود الكتابة ثم حفظ الجمع بين الصحيحين للحميـــدي بكامله، وكان رحمه الله حسن الخَلق والخُلق، نفاعًا للخلق حتى لقد قال عنه الحافظ عمر بن الحاجب: حدثني أنه حفظ صحيح مســلم جميعه وكرره في أربعة أشهر، وكان يحفظ في الجلسة الواحدة أكثر من سبعين حديثًا، وحفظ سورة الأنعام في يوم واحد.

ابن باز رحمه الله

الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز يرحمه الله قدوة لكل يتيم أن ينهض فيجد ويجتهد، ولد في مدينة الرياض، ونشأ يتيمًا لكن لم يقعده ذلك عن العمل والجد في طلب العلم، حيث حفظ القرآن قبل أن يبـــدأ مرحلة البلوغ، ولازم الشيخ محمد بن إبراهيم يرحمه الله عشـــر ســـنوات وتقدم في العلم حتى أصبح أحد الثلة المقدمة في علوم الشـــريعة ومرجـــع المستفتين من مختلف أنحاء العالم، ووضع الله عز وجل له القبول في قلوب الخلق، ولن ينسى الواحد منا أبدًا الألم والحزن الذي ألم بالمؤمنين يوم مات ابن باز، إي والله يا إخوة:

بكينا وفاءً لأمرئ قـــل أن ... له في الدعاة العاملين نظـــير

فخلوا ملامي إنْ ألح بي البُكا ... فإن فراق الصالحين عســـيرُ

خاتمـــــة

وبعدُ – يا إخوة – فهل انتهى الموفقون في حياتهم ممن عاشـــوا اليتم إبان صغرهم عند هؤلاء الأئمة الذين ذكرتهم؟

الجواب: لا، فكثير من وفقه الله تعالى وسدد خطاه، رغم فقده والده وهو صغير، ولكني ذكرت هذه النماذج العظيمـــة لتكـــون حافزًا ومشجعًا لكل من فقد معيله بعد الله تعالى أن يجد ويجتهـــد، لأن الطريق طويل، والسفر بعيد، ولن يبلغ أحد أمنيته إلا على سلم التوكل على الله تعالى وبذل النفس في كل خير، وثني الركـــب في حلق الذكر عند العلماء المخلصين، ومجالسة الصالحين، وفقـــني الله وإياك لكل خير، وجنبنا كل شر، وجعلنا من أنصار دينه وحمـــاة شريعته. آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وكتبه/ عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني

١٤٢٢/١٢/١٥هـ

ص.ب: ٤٠٤٧ الرياض ١١٤٩٩

البريد الإلكتروني: Abdulhamed99@hotmail.com